جامعة السيد محمد بن علي السنوسي الإسلامية
The Islamic University
of Al Saied Mohamed Bin Ali Al sanussi

جامعة السيد محمد بن علي السنوسي الإسلامية

مركز السيد أحمد الشريف للدراسات والبحوث العلمية

المؤتمر العلمي الأول

واقع المصالحة الوطنية في ليبيا

المعوقات والحلول

المعوقات والحلول

ضمن المحور الأول:

(الشريعة الإسلامية سبيل للمصالحة الوطنية)

بحث بعنوان

((طرق المصالحة الوطنية في القرآن الكريم، قصة يوسف ـ عليه السلام ـ أنموذجاً))

الباحث : الدكتور بشير سالم عمر عطية

مكان العمل: كلية القانون زلطن / جامعة صبراتة

الدرجة العلمية : أستاذ دكتور

التخصص العام : دراسات اسلامية التخصص الدقيق : فقه

0913209496 alhmydy588@gmail.com

1444هـ - 2023 م

ملخص:

تهدف هذه الدراسة إلى معرفة كيفية التدرج في المصالحة من خلال سورة يوسف ـ عليه السلام ـ ففي هذه السورة مشاهد عملية غُفرتْ فيها الزلات بين الخصوم، وأطفئت فيها مشاكل الفتنة والفرقة والخلاف، وبخاصةٍ قد أجريت فيما سبق كل النظريات البشرية في المصالحة ولكن لم تؤت أكلها، ونحن بفضل الله لدينا دستور خالدٌ وسيرةٌ نبويةٌ عطرةٌ، فيها كل التجارب والحلول الناجحة في شأن المصالحة وقد تتبع الباحث كيفية التدرج في المصالحة من خلال مواقف إخوة يوسف ـ عليه السلام ـواعترافهم بالذنب، وكيف أن يوسف عفا عنهم وصفح، واختار الكلمات التي لا تجرح مشاعرهم ولا تذكرهم بأخطائهم لتحقيق المحبة والوئام بينهم، وتتبعت في دراستي هذه المنهج الاستقرائي فتتبعت جميع مراحل المصالحةِ ، وأيضاً المواقف المشابهة لرسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـمع كفار قريش في فتح مكة، وكيف أنه عفا عنهم وقال قولته المشهورة اذهبوا فأنتم الطلقاء وخلص الباحث إلى اعتماد المصالحة الوطنية من القرءان الكريم والسنة النبوية العطرة، فهي بلاشك ولا ريب أفضل من تجارب البشر التي تصيب مرّةً وتخطئ مراتٍ.

Abstract:

This study aims to know how to gradually reach reconciliation through Surat Yusuf - peace be upon him - in this surah there are practical scenes in which slips between adversaries are forgiven, and the problems of sedition, division and disagreement are extinguished, especially since all human theories in reconciliation were previously conducted, but they did not bear fruit. And we, by the grace of God, have an eternal constitution and a fragrant prophetic biography, which contains all successful experiences and solutions in the matter of reconciliation.

The researcher traced how to gradually reach reconciliation through the stances of Yusuf, 39;s brothers - peace be upon him - and their confession of guilt, and how Yusuf pardoned and forgave them, and chose words that do not hurt their feelings and do not remind them of their mistakes to achieve love and harmony between them. And also the similar positions of the Messenger of God - may God bless him and grant him peace - with the infidels of Quraysh in the conquest of Mecca, and how he pardoned them and said his famous saying, (Go, for you are free). The researcher concluded by adopting national reconciliation from the Holy Qur'an and the fragrant Sunnah of the Prophet, as it is undoubtedly better than human experiences that are right once and wrong times.

المقدمة :

ما من شكٍّ في أن أي مشروعٍ للمصالحة الوطنية ينبغي أن يأخذ في اعتباره أولاً وقبل كل شيءٍ المصير المشترك للوطن والمواطن، والمصالح العليا للأمة، وبمجمل التحديات التي يتعين لأي تفكير جديٍّ في المصالحة أن تكون في مقدمة اهتماماته... وأن ندرك جميعاً أن سبب الإخفاقات المتكررة للمصالحة الوطنية هو قوة الحضور الأجنبي في مختلف أطواره وفرض رأيه...وأيضاً أصحاب المصالح الخاصة الذين كرعوا في مستنقع الأجنبي واستقووا به ـ وأقصد بذلك بعض الذين يسمون أنفسهم النخب السياسية ـ مما أسهم في استمرار التقاطع والتدابر بين بعضهم البعض في البلد الواحد.

ونحن بفضل الله لدينا دستور خالد، وسيرةٌ نبوية عطرة، فيها كل التجارب والحلول الناجحة، وستظل المصالحة الوطنية ناقصةٌ ومحدودة الفاعلية، ما لم نستدع القرءان لواقعنا ـ " وَنَزَّلْنَا عَلَيْكَ ٱلْكِتَٰبَ تِبْيَٰنًا لِّكُلِّ شَىْءٍ"[1] وما لم نأخذ بالتجربة المعصومة، سواء من حياة الأنبياء عليهم السلام، أو من السيرة النبوية العطرة، وتنزيلها على واقع الناس، وهي بلا شك أفضل من تجارب البشر التي تصيب مرة وتخطئ مرات، وتصلح اليوم ولا تصلح غداً، ويمكن أن تسري في مجتمع ولا تسري في غيره... وفي قصة نبي الله يوسف ـ عليه السلام ـ لوحةٌ ناطقةٌ في الميدان العملي للمصالحة ورأب الصدع، وهذه القصة التي مرت بأحداث كثيرة تمثلت في تآمر إخوة يوسف ـ عليه السلام ـ ورميهم إياه في الجب ، وتسببهم له في ألوان الأذى النفسي والمادي ما الله به عليم، ثم انتهت بنهايةٍ سعيدةٍ بين الأخوة حتى اعترفوا بذنبهم في حق أخيهم المظلوم...و تنازل يوسف–عليه السلام – عن حقه لإخوته وعفا عنهم ... وفي هذه الصفحات سأحاول التذكير بالمشاهد التصالحية في قصة يوسف ـ عليه السلام ـ واستعادة آلية الماضي وإسقاطه على الحاضر، حتى نحقق ـ إن شاء الله ـ مصالحة وطنية أساسها العدل والإنصاف القائم على إعادة الحقوق إلى أصحابها، ورد المظالم وجبر الضرر وتكريس الإحساس بالمواطنة، تحقيقاً للسلم والأمن الأهليين ، وقد جاءت في تمهيدٍ وثلاث مباحث ترتيبها كالآتي :

[1]) سورة النحل ، آية 89 .

التمهيد : وتناولت فيه سبب نزول سورة يوسف ـ عليه السلام ـ .

المبحث الأول : موقف الأشخاص السلبيين في كل زمان " لاَ تَقْتُلُوا يُوسُفَ"

المبحث الثاني : الفرق بين توعُّدِ الأخيار وتوَعُّد الأشرار .

المبحث الثالث : طرق التدرج في المصالحة :

أ. الرد الفطري من سيدنا يوسف ـ عليه السلام ـ " قَالُوا إِنْ يَسْرِقْ فَقَدْ سَرَقَ أَخٌ لَّهُ مِنْ قَبْلُ فَأَسَرَّهَا يُوسُفُ فِي نَفْسِهِ وَلَمْ يُبْدِهَا لَهُمْ قَالَ أَنتُمْ شَرٌّ مَّكَاناً "

ب. المواجهة بين يوسف وإخوته " قَالَ هَلْ عَلِمْتُم مَّا فَعَلْتُم بِيُوسُفَ وَأَخِيهِ إِذْ أَنتُمْ جَاهِلُونَ"

ج. الاعتراف العلني من المُخطئ " قَالُوا تَاللهِ لَقَدْ ءَاثَرَكَ اللهُ عَلَيْنَا وَإِن كُنَّا لَخَاطِئِينَ ".

د. بعد استيفاء الحق وتَبْيِنِه، يأتي العفو " قَالَ لاَ تَثْرِيبَ عَلَيْكُمْ الْيَوْمَ يَغْفِرُ اللهُ لَكُمْ وَهُوَ أَرْحَمُ الرَّاحِمِينَ".

الخاتمة ، وفيها أهم النتائج .

التمهيد :

سورة يوسف هو الاسم الوحيد لهذه السورة، ووجه تسميتها ظاهرٌ؛ لأنها قصت قصة يوسف ـ عليه السلام ـ كلها، ولم تذكر قصته في غيرها، بل لم يذكر اسمه في غيرها لا في موضعين [1].

في سورة الأنعام " وَمِن ذُرِّيَّتِهِۦ دَاوُۥدَ وَسُلَيْمَٰنَ وَأَيُّوبَ وَيُوسُفَ وَمُوسَىٰ وَهَٰرُونَ وَكَذَٰلِكَ نَجْزِى ٱلْمُحْسِنِينَ "[2] وفي سورة غافر " وَلَقَدْ جَآءَكُمْ يُوسُفُ مِن قَبْلُ بِٱلْبَيِّنَٰتِ "[3] .

واسم يوسف من التأسي ـ أي الذي يُتأسَّى به عند الحزن ـ وسئل أبو الحسن الأقطع ـ وكان حكيماً ـ عن يوسف، فقال " الأسف في اللغة الحزن، والأسيف العبد، وقد اجتمعتا في يوسف فلذلك سُمِّي يوسف"[4].

وقال عطاء بن أبي رباح[5]ـ فقيه مكة ـ :" لا يقرا محزونٌ سورة يوسف إلا سُري عنه " [6].

ونزلت هذه السورة الكريمة على سيدنا محمد ـ صلى الله عليه وسلم ـ بعد سورة هود، في تلك الفترة الحرجة العصيبة من حياته ـ صلى الله عليه وسلم ـ حيث توالت الشدائد والنكبات عليه وعلى المؤمنين، وبخاصة بعد أن فقد نصيرته: زوجه الطاهرة الحنون " خديجة" رضي الله عنها، وعمه" أبو طالب" الذي كان له خير نصير، وخير معين ، وبوفاتهما اشتد الأذى والبلاء على رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ وعلى المؤمنين، حتى عرف ذلك العام بعام الحزن، أنزل الله تعالى على نبيه الكريم ـ صلى الله عليه وسلم ـ هذه السورة تسليةً له وتخفيفاً لآلامه، وكأن الله تعالى يقول

---

[1]) تفسير التحرير والتنوير، محمد الطاهر بن عاشور، دار سحنون للنشر والتوزيع، تونس ، 1997 ، ج12 ، المجلد الخامس ، ص197 .

[2]) سورة الأنعام، آية رقم 85.

[3]) سورة غافر ، الآية 34 .

[4]) الجامع لأحكام القرآن لأبي عبد الله محمد القرطبي، ج2، ص121، الطبعة الثانية، تحقيق أبو إسحاق إبراهيم اطفيش .

[5]) أبو محمد، عطاء بن أبي رباح بن أسلم بن صفوان، أحد الأئمة الأعلام من التابعين، توفي سنة 114هـ . انظر: كتاب الوفيات لابن قنفد ، تحقيق عادل نويهض ، منشورات دار الأفاق الجديدة، بيروت، الطبعة الرابعة، 1403هـ ، 1983م، ص112 .

[6]) صفوة التفاسير، محمد علي الصابوني، دار الصابوني للطباعة والنشر والتوزيع، القاهرة، الطبعة الأولى، 1417هـ ، 1997م، ج2، ص35 .

لنبيه ـ صلى الله عليه وسلم ـ لا تحزن يا محمد لتكذيب قومك، وإيذائهم لك، فإن بعد الشدة فرجاً، وإن بعد الضيق مخرجاً، انظر إلى أخيك " يوسف" و تمعن ما حدث له من صنوف البلايا والمحن وألوان الشدائد... انظر إليه كيف أنه لما صبر على الأذى في سبيل العقيدة... جعله الله عزيزاً في أرض مصر، وملَّكه الله خزائنها، فكان السيد المطاع، وهكذا أفعل بأوليائي، ممن صبر على بلائي، فلابد من أن توطد النفس على تحمل البلاء اقتداءً بمن سبقك من المرسلين[1].

نزلت هذه السورة تسليةً لنبي الله محمد ـ صلى الله عليه وسلم ـ بعدما اجتمعت عليه المصائب، طرد من أهله، خرج من داره، أوذي وأصحابه ـ صلى الله عليه وسلم ـ جاءت تحمل البشارة والأنس والطمأنينة له ـ صلى الله عليه وسلم ـ ولمن سار على درب الأنبياء والمرسلين والدعاة المخلصين.

نزلت هذه السورة بياناً وبرهاناً ساطعاً على صدق النبي ـ صلى الله عليه وسلم ـ فقد وردت أسئلة لنبينا محمد ـ صلى الله عليه وسلم ـ من اليهود الذين أرسلوا إلى المشركين بمكة يقولون لهم: اسألوا محمداً عن قصة يوسف وعن أخبار يوسف، فإن أجاب بنحو ما عندنا فهو نبيٌ، وإن لم يجب بنحو ما عندنا فهو أميٌّ وعي ، فقال القرءان "لَّقَدْ كَانَ فِى يُوسُفَ وَإِخْوَتِهِ ءَايَٰتٌ لِّلسَّآئِلِينَ "[2]، أي لهؤلاء السائلين، فكان هذا للنبي ـ صلى الله عليه سلم ـ إذا أخبرهم ولم يكن يقرأ كتاباً قط، ولم يخالط اليهود بعد في المدينة – بمنزلة إحياء عيسى ـ عليه السلام ـ الميت[3].

إننا نرى فيها واقع بلادنا، نراها تخط في حوادث مصيرنا، إنها تفتح أمامنا آفاق القدر لتجعل إرادتنا من إرادة الله ـ عز وجل ـ فهذه السورة جاءت في بيان الفرج بعد الشدة... ولبيان أن الحياة الدنيا ليست كلها ربيعاً، وليست كلها أشواكاً ومتاعب، جاءت في مئة وأحدى عشرة آيةً لتؤكد على " إِنَّهُۥ مَن يَتَّقِ وَيَصْبِرْ فَإِنَّ ٱللَّهَ لَا يُضِيعُ أَجْرَ ٱلْمُحْسِنِينَ "[4].

جاءت لتذكر بالمشاهد التصالحية في قصة يوسف ـ عليه السلام ـ غُفرت فيها الزلات .

---

[1]) صفوة التفاسير، مرجع سابق ، ص35 .

[2]) سورة يوسف، آية 7.

[3]) الجامع لأحكام القرءان ، القرطبي ، ج9 ، ص129 .

[4]) سورة يوسف، آية 90 .

جاءت لكل ليبي غيور على بلاده، أن يحرص على بيضة دولته " ليبيا" ووحدة شعبها، وأن يجعل بين عينيه " ليبيا لا غالب ولا مغلوب" وأن أي تنازل عن حقه لأخيه من أجل ليبيا ، سيؤدي إلى الفلاح في الدنيا والآخرة، ويُخرجنا ـ بإذن الله ـ من الضيق إلى الفرج القريب .

المبحث الأول : موقف الأشخاص السلبيين في كل زمان ومكانٍ " لاَ تَقْتُلُوا يُوسُفَ"

قال الله تعالى" يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱتَّقُواْ ٱللَّهَ وَقُولُواْ قَوْلًا سَدِيدًا يُصْلِحْ لَكُمْ أَعْمَٰلَكُمْ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ "[1].

لقد ربط القرءان الكريم بين الكلمة البناءة وبين صلاح المجتمع في هذه الآيات، فالكلمة الصادقة المخلصة لها أثر إيجابي على الفرد والمجتمع، يجتمعون على قتل " يوسف" عليه السلام، ولكن بكلمة عاقلٍ واحد من العشرة استطاعت أن تغير الأمر، وتصرف إخوة يوسف عن قتل أخيهم ،وهو ليس خيارا صحيحاً، وإنما هو أخف الضررين، لقد فتح بهذا المقترح باباً للنجاة وكان الأولى أن ينهاهم عن المنكر، ويقول لهم كفوا أيديكم عن أخيكم فلا تقتلوه، ولكن لعله لم يجد إلا هذا المقترح خوفا منهم .

وما أروع ما قاله ـ صلى الله عليه وسلم ـ " لا يحقرن أحدكم نفسه أن يرى أمراً لله فيه مقال، فلا يقول فيه، فيقال له: ما منعك ؟ فيقول: مخافة الناس، فيقول: فإياي كنت أحقّ أن تخاف "[2]، فهذا نهي عن أن يشعر الإنسان بالدونية في نفسه، فيدّعي الضعف وقلة الحيلة، فقد كان المسلم في صدر الإسلام لا يرى نفسه أصغر من أن ينصح رئيس الدولة ولا أقل من أن يقول من أين لك هذا يا أمير المؤمنين؟[3].

قال قائل منهم لا تقتلوا يوسف ، جاء لهم بحل استدرجهم إلى عدم قتل يوسف، ولم يقف صاحب هذا الرأي ضد اقتراح إخوته بقتل يوسف، بل أخذ يستدر عطفهم ليستل منهم ثورة الغضب، فلم يقل لهم لا تقتلوه، وفي النطق بذكر الاسم " يوسف " تحنيناً لهم، وكذلك في قوله " إن

---

[1]) سورة الأحزاب، آية 70.

[2]) الدرر السنية، مرجع علمي موثق، على منهج أهل السنة والجماعة، علوي عبد القادر السقاف، الموسوعة الحديثة، 234/11 – 235 .

[3]

كنتم فاعلين" استدرار العطف، وفيه إشارةٌ من صاحب المقترح أن الأولى ألا تفعلوا شيئاً من ذلك، وأما وإن كان ولابد، فاقتصروا على هذا القدر" إذا تعارضت مفسدتان روعيَ أعظمهما ضرراً بارتكاب أخفهما"[1].

ومن أمثلة هذه القاعد، جواز السكوت على المنكر إذا كان يترتب على إنكاره ضررٌ أعظم[2].

فالموازنة بين المفاسد والمضار بعضها وبعض أمرٌ ضروريٌ، فالمفاسد متفاوتةٌ كما تتفاوت المصالح، فيرتكب أخف الضررين وأهون الشرّيْن، ومن الشجاعة حسن العرض وعدم المخالفةِ حتى لا ترتكب أشد المفسدتين، ولنا في رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ الأسوة الحسنة، ففي صلح الحديبية غلّب ـ صلى الله عليه وسلم ـ المصالح الأساسية والجوهرية على المصالح الشكلية، التي يتشبث بها بعض الناس، فقبل من الشروط ما قد يُظن ـ لأول وهلة ـ أن فيها إجحافاً بالجماعة المسلمة، أو رضاً بالدونية، فقد رضي ـ صلى الله عليه وسلم ـ أن تحذف البسملة، ويحذف وصف الرسالة الملاصق لاسمه الكريم " محمد رسول الله "ويكتفي باسم " محمد بن عبد الله " ليكتسب من وراء ذلك الهدنة التي يتفرغ فيها لنشر الدعوة...[3].

ولما كان صنف من الناس لا يشاركون أبداً لا باليد ولا باللسان " السلبيون" ضرب الله لنا مثلاً في القرءان لهذه الشخصية السلبية، فقال تعالى " وَضَرَبَ اللَّهُ مَثَلًا رَجُلَيْنِ أَحَدُهُمَا أَبْكَمُ لَا يَقْدِرُ عَلَى شَيْءٍ وَهُوَ كَلٌّ عَلَى مَوْلَاهُ أَيْنَمَا يُوَجِّهْهُ لَا يَأْتِ بِخَيْرٍ هَلْ يَسْتَوِي هُوَ وَمَنْ يَأْمُرُ بِالْعَدْلِ وَهُوَ عَلَى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ"[4]

فهذا مثل لرجلين: أحدهما رجل سلبي، خامل، أبكم، لا يحرك ولا يتحرك، لا يؤثر ولا يتأثر، فهو كلٌ على مولاه، وحمل ثقيل على أهله ومجتمعه، أينما تضعه فلن ينفع، فهل يستوي ـ من هذه صفته ـ مع صاحب الهمة الطموح، الفعال ، الغيور، الذي يأمر بالعدل، ويحارب الفساد والظلم، فهو صاحب شخصية عظيمة.

---

[1]) شرح القواعد الفقهية ، محمد الزرقا، دار القلم دمشق ، الطبعة الثانية، 1432هـ ، 2011م ، ص199.

[2]) المصدر السابق ، ص199 .

[3]) في فقه الأولويات، دراسة جديدة في ضوء القرآن والسنة، يوسف القرضاوي، مكتبة وهبة ، الطبعة الثامنة ، 1429هـ ، 2008م ، ص 26 .

[4]) سورة النحل، آية 76 .

فما أحوجنا ونحن نرى بلادنا تنحدر ـ لا سامح الله ـ في مجرى السيل إلى هوةٍ لا قرار لها، هوة التمزق إن لم نقف صفاً واحداً وموقفاً جاداً نطرح الحزازات ، ونصلح ذات البين بيننا ، ونغلِّب ثقافة المصلحة العامة " ليبيا " على المصلحة الشخصية .

المبحث الثاني : الفرق بين توعد الأخيار وتوعد الأشرار

الأولاد نعمة من الله منَّ بها علينا، قال تعالى" وَاللَّهُ جَعَلَ لَكُم مِّنْ أَنفُسِكُمْ أَزْوَاجًا وَجَعَلَ لَكُم مِّنْ أَزْوَاجِكُم بَنِينَ وَحَفَدَةً وَرَزَقَكُم مِّنَ الطَّيِّبَاتِ أَفَبِالْبَاطِلِ يُؤْمِنُونَ وَبِنِعْمَتِ اللَّهِ هُمْ يَكْفُرُونَ"[1].

فما أعظم حكمة الله في خلقه إذ جعل هذه النعمة ذات أثر عظيمٍ في حياة الإنسان، فإذا بُشر الرجل بمولود تلألأ وجهه بالبشر، وامتلأ قلبه بالسعادة، وأشد ما يكون الشوق إلى الولد بعد طول رجاء، فإذا جاء الولد عمَّ السرور فهو رجل الغد، وأمل الوالدين ، وذخر الأمة، وامتداد لأبويه، وفرع من شجرته، وثمرةٌ من غرسه، و لا يتمنى أحد أن يكون غيره أحسن منه إلا أن يكون ولده، لذلك حث الإسلام على تربيته حتى قبل أن يتم الزواج من أمه، وهو لا يزال في عالم الغيب، وجعل من حقه أن يكون له أب صالح وأم صالحة [2] .

والأولاد كما هم نعمة، هم أيضاً فتنةٌ وابتلاءٌ، فإن أطاع الله فيهم وعمل على تربيتهم التربية الصالحة وعدل بينهم، كانوا نعمة لأبويهم، وانتفت عنهم دخائل الفساد بينهم، ولم ينظر أحد فيهم لآخر نظرة التحقير والاستعلاءِ، وصارح بعضهم بعضاً بالحق والنصيحة، فصاروا لا محالةَ كالجسد الواحدِ وإلا نشأت بينهم العداوة والبغضاء[3].

فالعدل واجبٌ شرعيٌ مع كل الخلق ـ وبخاصة الأولاد ـ فالتمييز بينهم والتفريق سبب مباشر للعقوق، وسبب لكراهة بعضهم البعض، فينبغي معاملة الأولاد على قدم المساواة، حتى لا يكره بعضهم بعضاً ويقع المحظور، فإذا لم تتحقق العدالة بينهم بالقدر الكافي، نشأ الأولاد منحرفينَ لا يحسنون التآلف مع الآخرين ولا مع أنفسهم[4].

---

[1]) سورة النحل، آية 72.

[2]) تربية الأولاد في الإسلام، الباحث، دار شموع الثقافة الزاوية ، الطبعة الأولى ، 2007 ، ص106 .

[3]) أصول النظام الاجتماعي في الإسلام، محمد الطاهر بن عاشور، الشركة التونسية للتوزيع، ص134 .

[4]) تربية الأولاد في الإسلام، الباحث، ص 106 .

وقد جعل الله ـ سبحانه وتعالى ـ ما حدث بين سيدنا يوسف ـ عليه السلام ـ وإخوته درساً عملياً للآباء إلى يوم القيامة، فسيدنا يعقوب ـ عليه السلام ـ لما أظهر حبه ليوسف وأخيه، أدى ذلك إلى كراهة إخوته له، ورغبتهم في قتله... وهم في بيت النبوة، توهموا أن والدهم يفضِّل يوسف وأخاه عليهم، وإن كان في حقيقة الأمر أن سيدنا يعقوب ـ عليه السلام ـ لم يفرق بين أولادهِ، فيوسف وأخيه لطيمين، ماتت أمهما وهما طفلان صغيران، فكان لهما أباً وأماً، وهذا يتماشى مع الفطرة السليمة أن يحضيا بنوع من الرعاية أكثر لما ذكر .

ومع ذلك أحس إخوة يوسف أن أباهم يعطي اهتماماً زائداً عن إخوته " إِذْ قَالُوا لَيُوسُفُ وَأَخُوهُ أَحَبُّ إِلَىٰ أَبِينَا مِنَّا وَنَحْنُ عُصْبَةٌ إِنَّ أَبَانَا لَفِي ضَلَالٍ مُّبِينٍ"[1]. فالعدل كما هو واجبٌ شرعيٌ بين الأولادِ وهو واجبٌ شرعي بين الناس جميعاً، بل هو العامل الأول والأساسي لنجاح المصالحة الوطنية، فبه يستتب الأمن في البلاد، وتحصل الطمأنينة في النفوس، ويشعر الناس بالاستقرار.

بالعدل يحصل الوئام بين الحاكم والمحكوم، ويسود في المجتمع التعاون والتماسك، فالعدل كما عرّفه أهل العلم " بذل الحقوق الواجبة والتسوية بين المستحقين في حقوقهم"[2]، وأي دولة لا يمكن لها أن تنهض وتقوم إلا على أساس وحدة شعبها ومساندته، ولا يمكن لكل من الوحدة والتساند أن يتم بغير عامل التآخي والمحبة المتبادلة .

فإذا كان هذا التآخي والتناصر قائمين طبق ميزان العدل والمساواة فيما بينهم، فذلك هو المجتمع العادل السليم، وإن كانا قائمين على الحيف والظلم، فذلك هو المجتمع الظالم المنحرف[3].

وعلمتنا قصة يوسف ـ عليه السلام ـ أن سبب الكيد هو شعور أخوة يوسف بالتهميش وهي قصة للجميع أفراداً وجماعاتٍ. ولما كان إخوة يوسف ـ عليه السلام ـ أبناء نبي فقد كان تواعدهم بالشر خفيفاً؛ لأنهم أسباط، وسليم السريرة إذا توعّد إنساناً بالقتل أو الضرب يخفف كلما هدأ " ٱقْتُلُواْ يُوسُفَ أَوِ ٱطْرَحُوهُ أَرْضًا" ثم خفف بقول قائل منهم " قَالَ قَآئِلٌ مِّنْهُمْ لَا تَقْتُلُواْ يُوسُفَ وَأَلْقُوهُ فِى غَيَٰبَتِ

---

1) سورة يوسف، آية 2 .

2) كتاب التعريفات للجرجاني، تحقيق: عبد المنعم الخفي، دار الرشاد، ص170 .

3) بتصرف: فقه السيرة النبوية ، محمد سعيد رمضان البوطي، دار الفكر، دمشق سوريا، ط 1423هـ ، 2003م، ص219

ٱلْجُبِّ"[1]، في هذه القول تنزيلٌ من درجة الشر التي كانت متواقدةً في بداية الأمر، والإلقاء له معان كثيرة، منها مسك الشيء ووضعه بتؤدةٍ ورفقٍ، قال تعالى" فَأَلْقِيهِ فِى ٱلْيَمِّ "[2][3].

ومن توعُّد الأخيار أيضاً، توعد سيدنا سليمان ـ عليه السلام ـ للهدهد " وَتَفَقَّدَ الطَّيْرَ فَقَالَ مَا لِـيَ لَا أَرَى الْهُدْهُدَ أَمْ كَـانَ مِـنَ الْغَـائِبِينَ لَأُعَذِّبَنَّـهُ عَـذَابًا شَـدِيدًا أَوْ لَأَذْبَحَنَّـهُ أَوْ لَيَـأْتِيَنِّى بِسُـلْطٰنٍ مُّبِينٍ"[4].

لأعذبنه عذاباً شديداً، أضعه مع قومً لا يعرفون قدره، أو لأذبحنه، أو ليأتيني بسلطان مبين : بعذرٍ مقبولٍ، فتدرج من الأشد إلى الأخف، من العذاب إلى الذبح، ثم إلى العفو الشامل، ولا شك أن هذا التدرج لا يكون إلا من سليم السريرة الذي ملأ الإيمان قلبه، حتى لا يترك نفسه للانفعال الشديد.

فأهل الخير يبدأ الشر عندهم كبيراً ثم يصغر، اقتلوا يوسف أو اطرحوه، لأعذبنه عذاباً شديداً... أو ليأتيني بعذرٍ مقبول.

أما توعد الأشرار فالشر عندهم يتعاظم، والشر هو الأذى والفساد، وهو خلاف الخير[5] .

وعرفّه الجرجاني " عدم ملائمة الشيء الطبع "[6]، ولما كان الإنسان عبارة عن سلوك، وليس مجرد جسم يتحرك، فالجسم مادة لتسيير النفس وأداتها، فأن تنفيذ رغبات الشيطان تتم عن طريق تحريك الجسم للشهوات، فيأكل الحرام، ويفتك بيده ، ويسعى إلى الشر بقدميه، يقول الله ـ عز وجل ـ " وَمَن يَعْشُ عَن ذِكْرِ ٱلرَّحْمٰنِ نُقَيِّضْ لَهُۥ شَيْطٰناً فَهُوَ لَهُۥ قَرِينٌ"[7].

فالشيطان حريص أن يدخل نفس الإنسان، تلك النفس المهيأة لتقبل الشيطان إذ أعرض عن تقبل الإيمان، وكلما أبعده عن مراقبة الله عز وجل، كلما زاد قسوة وغرقاً في الشهوات، حتى يتملكه الميل إلى الشر تملكاً تاماً.

---

[1]) سورة يوسف ، آية 10.

[2]) سورة القصص، آية 7.

[3]) لسان العرب، مادة " لقى"

[4]) سورة النمل ، آية 20.

[5]) لسان العرب، مادة (شر)

[6]) التعريفات، للجرجاني، تحقيق : د.عبد المنعم الحقي، دار الرشاد، مصر ، ص37.

[7]) سورة الزخرف، آية رقم 35.

ولذلك نرى توعد الأشرار توعد تصعيد العذاب، فهاهم كفار قريش يجتمعون في دار الندوة، يتشاورون فيما يصنعون بأمر رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ قال الله تعالى " وَإِذْ يَمْكُرُ بِكَ الَّذِينَ كَفَرُوا لِيُثْبِتُوكَ أَوْ يَقْتُلُوكَ أَوْ يُخْرِجُوكَ وَيَمْكُرُونَ وَيَمْكُرُ اللَّهُ وَاللَّهُ خَيْرُ الْمَاكِرِينَ"[1].

لقد اقترحوا، سجنه ومنعه عن الحركة، ثم القتل، ثم الإخراج من الأرض وإبعاده عن مكة، وطنه، إنه تصعيد العذاب، واستقر رأيهم أخيراً على أن يأخذوا من كل قبيلة شاباً جلداً، ثم يعطي كل واحد منهم سيفاً صارماً، ثم يعمدوا إليه ـ صلى الله عليه وسلم ـ فيضربوه ضربة رجل واحد، فيقتلوه، فيتفرق دمه بلين القبائل ... وضربوا لذلك ميعاد يوم معلوم[2] . إنه تصعيد العذاب .

كذلك فعل فرعون مع السحرة لما آمنوا برب موسى ـ عليه السلام ـ ، فيقول الله تعالى مخبراً عن قيل فرعون للسحرة إذ آمنوا بالله وصدقوا رسوله ـ موسى عليه السلام ـ " لَأُقَطِّعَنَّ أَيْدِيَكُمْ وَأَرْجُلَكُم مِّنْ خِلَٰفٍ ثُمَّ لَأُصَلِّبَنَّكُمْ أَجْمَعِينَ"[3] .

وذلك بأن يقطع من أحدهم يده اليمنى ورجله اليسرى، أو يقطع يده اليسرى ورجله اليمنى، فيخالف بين العضوين في القطع فمخالفته في ذلك بينهما هو " القطع من خلاف "[4].

ويقال إن أول من سن هذا القطع فرعون، ثم لأوصلبنكم أجمعين دلّت (ثم) على الارتقاء في الوعيد بالصلب[5].

وعلمتنا سورة يوسف ـ عليه السلام ـ أن الشر درجات متفاوتة، وعلمتنا أن الإنسان الشرير بمقدوره أن يغير سلوكه للأفضل، إذا كان لديه إرادة وهدفُ... وتغيير الأنفس إلى الأفضل كانت إحدى مهام الرسل والأنبياء ـ عليهم السلام ـ وهي الآن مهمة الخيرين الغيورين على وطنهم.

وعلمتنا سورة يوسف ـ عليه السلام ـ أن الأنانية هي أساس كل شر، وأنها عاقت المجتمع الليبي من بناء الدولة، وأن الأناني في نفس السفينة معناً، وأن الشر والفساد له دورة يدور فيها يوزع فيها الأضرار على كل من يمر بهم، ولا يزال ينتقل حتى يصل إلى صاحبه فيصيبه، فعادم السيارة يزكم أنف صاحبه كما يزكم أنوف الآخرين، والذي يتبول في النهر هو أول الشاربين منه ...

---

[1]) سورة الأنفال ، آية رقم 30 .

[2]) فقه السيرة ، محمد سعيد رمضان البوطي، دار الفكر دمشق ـ سوريا ،1423هـ ، 2003م ، ص194.

[3]) سورة الأعراف ، آية 123.

[4]) الجامع لأحكام القرءان ـ القرطبي . ص 124 .

[5]) نفس المصدر ص 224.

فإذا أدركنا هذا ووعيناه جميعاً، وقام كل منا بدوره، ولم نقف موقف العاجز المتفرج، استطعنا أن نقطع الطريق على من يريد لنا الشتات والتفرق.

المبحث الثالث: طرق التدرج في المصالحة

أ. الرد الفطري من سيدنا يوسف ــ عليه السلام ــ " قَالُوا إِنْ يَسْرِقْ فَقَدْ سَرَقَ أَخٌ لَّهُ مِنْ قَبْلُ فَأَسَرَّهَا يُوسُفُ فِي نَفْسِهِ وَلَمْ يُبْدِهَا لَهُمْ قَالَ أَنتُمْ شَرٌّ مَّكَاناً "[1].

لقد اتهموا يوسف ـ عليه السلام ـ بالباطل بالسرقة، وهو حاكم مصر، وكان بمقدوره أن يرد الصاع صاعين، ولكنه لم يبين لهم زيف دعواهم، ولم يقر إخوته على اتهامهم له، ولم يستعمل السلطة ولا المكانة، ولا المنصب، فالقدوات والعظماء لا ينتصرون لأنفسهم، يترفعون عن الانتقام وتصفية الحسابات، ولم يصرح حتى بتكذيب إخوته، بل اكتفى بالتعريض بهم ،لأنه مُغضب منهم، وهي فطرة بشريةٌ، ورأى من الحكمة تأخير إخبارهم بحقيقتهم فاكتفى بقوله "قَالَ أَنتُمْ شَرٌّ مَّكَانًا وَٱللَّهُ أَعْلَمُ بِمَا تَصِفُونَ"[2] في نفسه ولم يقلها جهراً، حِلماً وكرماً ، وصفحاً وعفواً، لقد استفزوه لكنه كتم غيظه من أجل الأخوة... فالشجاعة أن تكظم الغيظ عند الاستفزاز، لا أن تأخذ الحق ممن استفزك فتلك فطرةٌ وجبلةٌ في الإنسان، فيوسف أضمر في نفسه ظلم إخوته، ولم يعف عنهم بسرعة، لم يقل لهم في نفسه ـ وهو نبي ـ عفوت عنكم، فالظلم يجرح النفس حتى ولو كانت نفس نبي ، لذلك كان الرد الفطري من يوسف أنتم شر مكاناً، وصدق رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ إذ قال" ليس الشديد بالصرعة إنما الشديد الذي يملك نفسه عند الغضب"[3]، وهذا يدل على أن مجاهدة النفس أشد من مجاهدة العدو، لأن النبي ـ صلى الله عليه وسلم ـ جعل الذي يملك نفسه عند الغضب، من القوة والشدة، ما ليس للذي يغلب لناس ويصرعهم[4]، فما أحوجنا لتعلم ـ فأسرها يوسف في نفسه ولم يبدها لهم ـ وما أحوجنا لتعلم سنة التغافل، فهي أساس كل خلق حسنٍ، وأساس الديمومة، فأصحاب النفوس العالية يتغاضون عن بعض الإساءات ويتغافلون عنها: فما أحوجنا

[1]) سورة يوسف آية 77.

[2]) سورة يوسف، آية 77.

[3]) شرح صحيح البخاري لابن بطال، مكتبة الرشد، الرياض، الطبعة الآولى، 1420هـ ، 2000م ، ج9، ص295. كتاب الأدب ، باب الحذر من الغضب.

[4]) المصدر نفسه، 295 .

لكلمة فأسرها يوسف، عندما يعلو صوت أخيك فلنتعلم ـ فأسرها يوسف ـ من أجل ليبيا، وندع عقلية الانتقام.

فقصة يوسف ـ عليه السلام ـ قصةٌ لأي واحد منا يسعى لرفع النزاع، وإنهاء الفرقة بين المتنازعين.

ب. المواجهة بين يوسف وإخوته: ـ " قَالَ هَلْ عَلِمْتُم مَّا فَعَلْتُم بِيُوسُفَ وَأَخِيهِ إِذْ أَنتُمْ جَاهِلُونَ"[1].

لقد اختار الكلمات بعنايةٍ تامةٍ، كى يحافظ على حبل الود بينه وبين إخوته، حباً للعفو، وحفظاً للمودة، فلم يقل لهم أنتم ظالمون مع إنهم ظلموه، ولم يقل لهم أنتم فاسدون ولا مجرمون.

فما ألطف هذا الأسلوب وعذبه... كأنما هو يعتذر لهم عن أنفسهم بأن الذي فعلوه معه كان صادراً عن جهلٍ[2].

وسألهم بأسلوب استفهامٍ يفيد التعظيم، وهو أيضاً بمعنى التذكير والتوبيخ " قَالَ هَلْ عَلِمْتُم مَّا فَعَلْتُم بِيُوسُفَ وَأَخِيهِ إِذْ أَنتُمْ جَاهِلُونَ"، فمن باب العتاب اللطيف، ليخفف عنهم صدمة المواجهة في هذا اللقاء الذي أدرك فيه يوسف أن كبرياءَ إخوته قد تطامن، وأن غرورهم قد زال، وأنهم في موقف استجداء الصدقة، وهم يطلبونها صراحةً لا تعرضاً ولا تلميحاً، أراد أن يبين لهم خطأهم لكن برفقٍ ولينٍ ويبين لهم طريقة الاعتذار وأن ما ارتكبوه في حقهما إنما صدر عن جهلهم، وأنه قد مضى أيام الصبى والطفولة، وهم الآن في دور الكمال والعقل، مع أنه ـ عليه السلام ـ هو الضحية، المظلوم المكلومالمتألم، الذي عاشَ حياته بعيداً عن أهله، غريباً عن قومه، قد تجمعت عليه الهموم وتجاذبته محن القصور والسجون فثبت وصبر، ومع هذا المشهد من المعاناة، إلا أنه لم يكن قاسياً في خطابه معهم، ولا جباراً، فكانَ هيناً ليناً معهم[3]، وهكذا هم الأنبياء، فها هو محمد ـ صلى الله عليه وسلم ـ الأسوة الحسنة، خرج مرَّةً إلى الطائف يلتمس النصرة من ثقيفٍ، ويرجوا أن يقبلوه منه ما جاءهم به من عند الله ـ عز وجل ـ فردوه رداً قبيحاً، وسلطوا عليه الأطفال والسفهاء يرمونه بالحجارة حتى أدموه ـ صلى الله عليه وسلم ـ وزيد بن حارثة يقيه نفسه، حتى شجَّ رأسه ـ رضي الله عنه ـ وخرج وهو يقول" اللهم إليك أشكو ضعف قوتي، وقلة حيلتي وهواني على الناس،

---

[1]) سورة يوسف، آية 89 .

[2]) قصص القرءان الكريم، فضل حسن عباس، دار النفائس، الأردن، ط الثالثة، 1430هـ ، 2010م، ص443.

[3]) الجامع لأحكام القرءان الكريم ، القرطبي ، المجلد التاسع، ص 257.

يا أرحم الراحمين، أنت رب المستضعفين وأنت ربي إلى من تكلني إلى بعيد يتجهمني، أم إلى عدوٍ ملكته أمري، إن لم يكن بك علي غضب فلا أبالي... فأرسل الله ـ عز وجل ـ إليه جبريل ـ عليه السلام ـ وقال له: يا محمد، إن ربك يقرئك السلام، وأمرني أن أطيعك فيما تأمرني به... لو أمرتني أن أطبق عليهم الأخشبين لفعلت، فقال ـ صلى الله عليه وسلم ـ وهو الرحمة المهداة والنعمة المسداة، اللهم أهد قومي فإنهم لا يعلمون، فقال جبريل ـ عليه السلام ـ صدق من سماك الرءوف الرحيم، قال تعالى" لَقَدْ جَآءَكُمْ رَسُولٌ مِّنْ أَنفُسِكُمْ عَزِيزٌ عَلَيْهِ مَا عَنِتُّمْ حَرِيصٌ عَلَيْكُم بِٱلْمُؤْمِنِينَ رَءُوفٌ رَّحِيمٌ"[1][2]. فكان ـ صلى الله عليه وسلم ـ كما أخبرت عنه السيدة عائشة ـ رضي الله عنها ـ أنه كان لا ينتقم لنفسه، ويعفو عن ظلمه[3]، فما أحوجنا أن نتعلم من سيرة الأنبياء دروس العفو والصفح ليس العلم وحده، فكثير منا يعلم هذا، وما اختلفت منازل الخليقة بسبب العلم، بل بسبب تفاوتهم في الهمم والعزائم فعلمك بالشيء لا يكفي، فمنا من يعلم ضرر التدخين ويدخن، والقاضي يعلم ضرر الرشوة ويرتشي، والأستاذ الجامعي يزور، والواعظ والخطيب أول من يفعل ما ينهى عنه، إلا من رحم ربي... والشعب يعلم أن الغرب الحاقد يريدنا متفرقين ضعافاً، ولا يعمل من أجل رأب الصدع بأن يكون هيناً ليناً مع إخوانه مرضاةً لربه ولأجل ليبيا، فالعلم بالشيء لا يكفي إلا إذا تحول العلم في داخلنا إلى شعورٍ ومازج القلب فأثمرَ النفور، واستنهض الهمة إلى بناء دولة قوية موحدة.

[1]) سورة التوبة، آية 128.

[2]) فقه السيرة، مرجع سابق، ص150.

[3]) شرح صحيح البخاري لابن بطال، كتاب الأدب ، باب قوله تعالى "إن الله يأمر بالعدل والإحسان" ج9 ، ص257

جـ . الاعتراف العلني من المخطئ: " قَالُوا تَاللهِ لَقَدْ ءَاثَرَكَ اللهُ عَلَيْنَا وَإِن كُنَّا لَخَاطِئِينَ "[1]

لا شك أنهم لم يصلوا إلى هذا الاعتراف والإقرار بالذنب إلا بعد عدّة عوامل أسهمت في تغيير نفوسهم إلى الأفضل، ورجوعهم إلى الحق مذعنين إليه، نادمين على ما فعلوا . ومن هذه العوامل :

1) فشلهم في تحقيق مآربهم، والوصول إلى غاياتهم أي أن يخلو لهم وجه أبيهم ،وإذ بهم لا يزدادون منه إلا بُعداً ونفوراً.
2) مُضِّي أيام الصبى، ونزف الشباب وحدَّته وطيشه ورعونته، وبلوغهم سن الرشد، والتعقل... فمن لم يكن منهم متزوج تزوج وأنجب البنين، وأحب صغيرهم أكثر من كبيرهم كما كان يفعل أبوهم معهم.
3) الفقر والحاجة، وسوء المعيشة، بعد أن أصابهم القحط، فأهلك زرعهم وأجاع أولادهم... أيقنوا أن ما أصابهم من مصائب، إنما هو بسبب عقوق والدهم، وبما فعلوه من ذنب في أخيهم يوسف ـ عليه السلام ـ، فلا ريب أن يعود لهم الرشد والوعي الغائب نتيجةً لما ذكر، هذَّب نفوسهم، وانتقلوا من منتهى الكبر إلى منتهى التواضع والانكسار، فما أن أُتيحت لهم الفرصة للتوبة حتى بادروا للتوبة والاعتراف والندم على ما فعلوا ، قالوا " تَاللهِ لَقَدْ ءَاثَرَكَ اللهُ عَلَيْنَا وَإِن كُنَّا لَخَاطِئِينَ".

وفي المقابل كان يوسف ـ عليه السلام ـ في قمة الأدب معهم ،فخاطبهم بلطف وتؤدة، " هَلْ عَلِمْتُم مَّا فَعَلْتُم بِيُوسُفَ وَأَخِيهِ إِذْ أَنتُمْ جَاهِلُونَ" بقصد تذكيرهم بما فعلوا، وهذا من باب التوبيخ والعقاب اللطيف، فقد كانوا سبب حزنه وشقائه.

لقد أدرك يوسف ـ عليه السلام ـ أن كبرياءَ إخوته قد تطامن، وأن غرورهم قد زال وتلاشى، وأنهم في موقف استجداء الصدقة... وهم يطلبونها صراحةً لا تعرضاً ولا تلميحاً .

فخاطبهم برفق ولين وتلطف، ملتمساً لهم العذر" إِذْ أَنتُمْ جَاهِلُونَ" مع أنه هو الضحية، المظلوم، المكلوم، المتألم ، الذي عاش حياته بعيداً عن أهله، غريباً عن قومه، قد تجمعت عليه الهموم، وتجاذبته محن القصور والسجون، ومع هذا المشهد من المعاناة لم يكن قاسياً، ولا جباراً معهم، فهم اليوم إخوته، وسبب سعادته.

[1]) سورة يوسف، آية 91.

ولله درُّ القائل :

رزقتَ أكرم ما في الناسِ من خُلقٍ

إذا رزقتَ التماس العذر في الشيمِ

فلم لا نلتزم هذا النهج الكريم، ونبثه بيننا نحن أبناء الوطن الواحد؟، ومهما تعاظمت الخلافات، ومهما توالت الإساءات والمظالم، فالعفو والصفح والتغافر هو الأفضل للمتخاصمين وللوطن، وللأجيال القادمة، وهذا ما سطره التاريخ لنا في فتح مكة.

فها هو سيد الخلق ـ صلى الله عليه وسلم ـ يمنحُ أهل مكة العفو العام، بالرغم ما لحقه من أذى منهم، ورغم قدرته ـ صلى الله عليه وسلم ـ على استئصال شأفتهم،عفا عنهم، وقال لهم قولته المشهورة :" ما تظنون أني فاعل بكم، فقالوا :خيراً، أخ كريم وابن أخ كريم، فقال:"لا تثريب عليكم اليوم يغفر الله لكم، اذهبوا فأنتم الطلقاء ... "[1]

إن الاقتداء بهذه الخبرة النبوية شرفٌ لنا قبل أن تكون حلاً ناجحاً لمشاكلنا واختلافاتنا، فما أحوجنا لو كنا صادقين في مصالحة حقيقية أن نطبق هذا القانون الآلهي، ونتعلم من سيرة الأنبياء ـ عليهم السلام ـ دروس الصفح والعفو، والتماس العذر للآخرين، فسنة التغافل من أعظم مكارم الأخلاق، فهي أساس الديمومة بين الناس، وهي أساس من أسس المصالحة الوطنية، وكذلك المداراة، وهي الرفق بالجاهل، وخفض الجناح للناس، ولينُ الكلمة وترك الإغلاظِ لهم في القولِ، وذلك من أقوى أسباب الألفة وسل السخيمة[2]، وقد رُوي عن النبي ـ صلى الله عليه وسلم ـ أنه قال " مداراة الناس صدقة "[3].

[1]) العدالة والمصالحة الوطنية ضرورة دينية وإنسانية ، د.علي محمد الصلابي، دار المعرفة بيروت، ط الأولى، سنة 1433هـ ، 2021م، ص86. وسورة يوسف دراية تحليلية ، أحمد نوفل ، ص 12 .

[2]) السخيمة : الحقد والضغينة .

[3]) شرح صحيح البخاري لابن بطال، كتاب الأدب ، باب المداراة مع الناس، جـ 9 ، ص 305 .

د. بعد استيفاء الحق وتبينه يأتي العفو" قَالَ لاَ تَثْرِيبَ عَلَيْكُمُ الْيَوْمَ يَغْفِرُ اللهُ لَكُمْ وَهُوَ أَرْحَمُ الرَّاحِمِينَ"[1]

المتأمل لأقوال سيدنا يوسف ـ عليه السلام ـ لإخوته يجدها تنمُّ عن عفو تام، بل صفح في الآخر. والفرق بينهما: أن العفو هو التجاوز عن العفوية، ولكن يظل ما اقترفه المذنبُ من ذنب بحق الآخر قائم في النفس: فالعافي يقوم بتذكير المعفو عنه بأخطائه حتى لا يعود إليها، أما الصفح فهو التجاوز عن العفوية، دون تذكير المعفو عنه بأخطائه، فهو أسمى من العفو[2].

ويوسف ـ عليه السلام ـ صفح في نهاية الأمر وعفر لإخوته، حتى أنه لم يلمح لهم بالذنب الذي اقترفوه في حقه ، قال " وَقَدْ أَحْسَنَ بِىَ إِذْ أَخْرَجَنِى مِنَ ٱلسِّجْنِ وَجَآءَ بِكُم مِّنَ ٱلْبَدْوِ مِن بَعْدِ أَن نَّزَغَ ٱلشَّيْطَٰنُ بَيْنِى وَبَيْنَ إِخوتِيَ"[3].

ولم يقل لهم : وقد أحسن بي إذ أخرجني من الجب، حتى لا يجرح شعورهم، بل التمس لهم العذر في الخطيئة، ووضعها بكاملها على الشيطان، فما أحسنه من أسلوب للتصالح، ولنزع فتيل الخصومة، فبعد أن أقسم إخوته له " تَاللهِ لَقَدْ ءَاثَرَكَ اللهُ عَلَيْنَا وَإِن كُنَّا لَخَاطِئِينَ" ، أتى جواب الكريم "لاَ تَثْرِيبَ عَلَيْكُمُ الْيَوْمَ" أعظم كلمة قيلت في التاريخ.

وبهذه الكلمات الندية العطرة، طوى يوسف ـ عليه السلام ـ صفحة الماضي الأليمة، وعاد إليهم الود والوئام والمحبة.

وهذا الدرسُ النبويُّ الذي قدمه يوسف ـ عليه السلام ـ يؤسس لمبدأ التصالح العملي، ونقله إلى دائرة المجتمعات الساعية لبناء دولة مواطنة عادلة.

قال ـ صلى الله عليه وسلم ـ : " ما زاد الله عبداً بعفوٍ إلا عزاً"[4]،ويروى أن رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ كان جالساً ذات يوم إذ ضحك حتى بدت ثناياه، فقال عمر: بأبي أنت وأمي يا رسول الله ، ما الذي أَضحكك؟، قال : رجلان من أمتي جثيا بين يدي رب العزة، فقال أحدهما : يا رب ، خذ مظلمتي من هذا، فقال الله ـ عز وجل ـ : ردَّ على أخيك مظلمته، فقال : يا رب، لم يبقى من

---

[1]) سورة يوسف، آية 92.

[2]) الدرر السنية، موسوعة الأخلاق، علوي عبد القادر السقاف، انظر: www.dorar.com

[3]) سورة يوسف، آية 100.

[4]) جزء من حديث، أخرجه مسلم في البر والصلة والآداب، باب استحباب العفو والتواضع، حديث رقم 2588.

حسناتي شيء، فقال الله ـ عز وجل ـ للطالب: كيف تصنع بأخيك؟، لم يبقى من حسناته شيءٌ، فقال: يا رب، ليحمل عني من أوزاري، ثم فاضت عينا رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ بالبكاء، وقال : إن ذلك ليوم عظيم، يوم يحتاج الناسُ أن يُحمل عنهم من أوزارهم، قال: فيقول الله ـ عز وجل ـ أي للمتظلّم : ارفع بصرك فانظر في الجنان، فقال : يا رب، أرى مدائن من فضةٍ، وقصوراً من ذهبٍ مكللة باللؤلؤ، لأي صدّيقٍ، ولأي شهيدٍ هذا؟، قال الله ـ عز وجل ـ : لمن أعطى الثمن، فقال: يا رب، ومن يملك ذلك؟ ، قال: أنت تملكه، قال : بماذا يا ربي؟، قال : بعفوك عن أخيك . قال: يا رب عفوتُ عنه، قال الله ـ عز وجل ـ : خذ أخيك فأدخله الجنة .

ثم قال رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ : اتقوا الله وأصلحوا ذات بينكم، فإن الله تعالى يصلح بين المؤمنين يوم القيامة[1].

[1]) نقلاً عن : موسوعة أخلاق القرءان، د.أحمد الشرباصي، دار الرائد العربي بيروت ، ط الأولى ، 1401هـ ، 1981م، ج5، ص191– 120 .

الخاتمة :

بعد هذا المطاف الماتع مع آي الذكر الحكيم، وتحديداً في سورة يوسف ـ عليه السلام ـ وفي بعض آياتها، التي أرست دعائم العفو والصفحِ، هذه الدعائم تمثِّلُ قاعدةً متينة ورواية رصينةً في إقامة مصالحة وطنية شاملة بين أبناء البلد الواحد.

وتبين لنا من خلال هذه القصة أن لكل سببٍ مسبب، فسبب العداوة والكيد ليوسف ـ عليه السلام ـ الحقد والحسد، نتيجة الغيرةِ، وسبب الغيرة، توهم إخوة يوسف ـ عليه السلام ـ أن أباهم فضل عليهم يوسف ـ عليه السلام ـ وأخيه ، وهم عصبة ، ولذلك فإن من أهم دعائم المصالحة الوطنية ونجاحها العدلُ والمساواةُ بين الأفراد والمناطقِ، فلا فضل لأحد على الآخر إلا بما فضّل الله، فالعدل والمساواةُ بين الناس من الدعائم الأساسية في نشر الطمأنينة في النفوس، وبث روح الإحسان بين الناس، فمعاملة الجميع على قدم المساواة سبب نجاح إقامة دولة وطنية موحَّدةٍ، لا أحقاد فيها ولا ضغائن.

كذلك تبين لنا من هذه القصة أن الإنسان ـ مهما كان ـ له دورٌ في بناء الدولة، ولا ينبغي أن يحقر الإنسان نفسه، فيدَّعي الضعف وقلة الحيلةِ، فبكلمةٍ واحدةٍ من شخصٍ غيورٍ على بلده قد تلتئم الجراحُ وتوحد الصفوف .

وعلمتنا هذه القصةُ أن العفوَ والصفحَ لا يكونان إلا بعد الاعتراف ورد الحقوق لأصحابها، فالاعتراف بالحق فضيلةٌ، ولا ينقص من قدر المرء شيئاً، بل يزيده رفعةً ومكانةً.

وتبين لنا من خلال هذه السورةِ أن سبب المصائب التي تلحق بالإنسان المعصية ، وبخاصةٍ عقوق الوالدين، وأن ألم عقوق الأبناء للآباء لا ينسى بسهولةٍ، فعند ما طلب أبناء يعقوب ـ عليه السلام ـ أن يستغفر لهم، قال : سوف أستغفر لكم ربي إنه هو الغفور الرحيم، فأجَّل الاستغفار لحين تمام الصفح وشفاءِ ما في صدره نحوهم، واختيار الوقت المناسب والمكان المناسب.

علَّمتنا هذه القصةُ أن أعظم كلمةٍ قيلت في المصالحة " لا تثريب عليكم اليوم يغفر الله لكم وهو أرحم الراحمين" قالها سيدنا يوسف ـ عليه السلام ـ وسيدنا محمد ـ صلى الله عليه وسلم ـ .

وفي النهاية، المصالحة لا تتحقق بالشعارات ولا التمني، ولكن بالإيمان بوحدة هذا الوطن والانتماء إليه والترفع عن أي مصالح شخصية في سبيل وحدته والنهوض به ، والله الموفق لما فيه خير بلادنا وأمتنا.

التوصيات :

1. ضرورة إدراج خطاب المصالحة الوطنية في المنظومة التربوية، بالإضافة إلى غرس المفاهيم الإسلامية المتعلقة بالتسامح، وثقافة السلم، والوسطية ولاعتدال في المناهج التربوية بجميع مراحلها.
2. ضرورة وضع آلية سريعة لجمع السلاح، وتنحية الأجسام السياسية والمسميات التي تعيق مسار المصالحة في ليبيا .
3. توجيه الخطاب الإعلامي بما يخدم المصالحة الوطنية ـ لأنه لما كان التلفزيون من أقوى وسائل التأثير والتوجيه ، بحيث استطاع أن يستميل كل المشاهدين في بعض المسلسلات إلى ما يريدون ـ عليه نرى ضرورة اعتماد الدراما وسيلة دعوية، بعد أن تُنقَّى وتُصّفَّى، وبخاصة أفلام الكرتون وما لها من تأثير على الأطفال.
4. عودة جميع المهاجرين والمهجَّرين الليبيين إلى أرض الوطن، والعودة إلى منازلهم وممتلكاتهم.
5. عدم السماح للأجنبي بالتدخل في الشأن الليبي، والتصدي لمشاريع الغزو الفكري والثقافي الذي يحاول طمس هوية المجتمع الثقافية والدينية .
6. الأخذ بمنهج القرءان الكريم وسيرة المصطفى ـ صلى الله عليه وسلم ـ في شأن المصالحة وطرح كل ما عداها؛ لثبوت فشلها.
7. وفي النهاية، أُوصي كل ليبي غيورٍ على وطنه ألا يسهم في خلق بيئةٍ ملائمة لزيادة التدخل الأجنبي، بل على كل واحد منا أن يشعر بالمسؤولية وبالخطر الذي يهددنا، فيسارع إلى طرح الحزازات وإصلاح ذات البين، ويغلب ثقافة المصالحةِ على المصلحة الشخصية .

فليبيا تبدي إغراءها للجميع فلا نُعطي الفرصة لأعداء ليبيا لنهب خيراتها وتفريق شعبها .

المصادر والمراجع :

- القرءان الكريم .
- تفسير التحرير والتنوير، محمد الطاهر بن عاشور، دار سحنون للنشر والتوزيع، تونس، 1997م.
- الجامع لأحكام القرءان الكريم لأبي عبد الله محمد القرطبي، الطبعة الثانية، تحقيق أبو إسحاق إبراهيم اطفيش.
- صفوة التفاسير، محمد علي الصابوني، دار الصابوني للطباعة والنشر والتوزيع، القاهرة، الطبعة الأولى، 1417هـ ، 1997م .
- شرح صحيح البخاري، لابن بطال، مكتبة الرشد، الرياض، الطبعة الأولى، 1420هـ، 2000 م.
- صحيح مسلم للإمام أبي الحسين مسلم بن الحجاج القُشَيْري النيسابوري، تحقيق محمد فؤاد عبد الباقي، دار إحياء التراث، بيروت.
- الدرر السنية، مرجع علمي موثق، على منهج أهل السنة والجماعة، علوي عبد القادر السقاف، الموسوعة الحديثة ، وهو متاح على الموقع www.Dorar.com .
- قصص القرءان الكريم، فضل حسن عباس، دار النفائس، الأردن، الطبعة الثالثة، 1430هـ، 2010م.
- موسوعة أخلاق القرءان، د.أحمد الشرباصي، دار الرائد العربي بيروت لبنان ،الطبعة الأولى ، 1401هـ ، 1981م.
- فقه السيرة ، محمد سعيد رمضان البوطي، دار الفكر دمشق ـ سوريا ،1423هـ ، 2003م.
- القواعد الفقهية ، محمد الزرقا، دار القلم دمشق ، الطبعة الثانية، 1432هـ ، 2011م.
- في فقه الأولويات، دراسة جديدة في ضوء القرآن والسنة، يوسف القرضاوي، مكتبة وهبة ، الطبعة الثامنة ، 1429هـ ، 2008م.
- أصول النظام الاجتماعي في الإسلام، محمد الطاهر بن عاشور، الشركة التونسية للتوزيع.
- تربية الأولاد في الإسلام،بشير سالم عطية ، دار شموع الثقافة الزاوية ، الطبعة الأولى

.2007

- العدالة والمصالحة الوطنية ضرورة دينية وإنسانية ، د.علي محمد الصلابي، دار المعرفة بيروت ، الطبعة الأولى ، 1433هـ ، 2012م.
- سورة يوسف دراسة تحليلية، أحمد نوفل .
- لسان العرب لابن منظور.
- كتاب التعريفات، للجرحاني، عبد المنعم الحفي ، دار الرشاد.
- كتاب الوفيات لابن قنفد، تحقيق عادل نويهض، منشورات دار الآفاق الجديدة، بيروت، الطبعة الرابعة، 1403هـ ، 1983م.